ـ ١٨ ـ قالوا: حديث في التشبيه خلق آدم

قالوا: رويتم عن النبيّ ﷺ: «أن الله عزّ وجلّ، خلق آدم على صورته»[١].

والله ـ تبارك وتعالىٰ ـ يجلّ عن أن يكون له صورة، أو مثال.

قال أبو محمد: ونحن نقول كما قالوا: إن الله تعالىٰ، وله الحمد، يجلّ عن أن يكون له صورة أو مثال، غير أن الناس ربما ألفوا الشيء وأَنِسُوا به، فسكتوا عنده، وأنكروا مثله.

ألا ترى أن الله تعالىٰ يقول في وصفه نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٢].

وظاهر هذا، يدلّ على أن مثله لا يشبهه شيء، ومثل الشيء غير الشيء، فقد صار ـ على هذا الظاهر ـ لله تعالىٰ مثل.

ومعنى ذلك في اللغة، أنه يقام المثل مقام الشيء نفسه، فيقول القائل: مثلي لا يقال له هذا الكلام، ومثلي لا يفتأت عليه.

لا يريد: أن نظيري لا يقال له ولا يفتأت عليه، وإنما يريد: أنا نفسي لا يقال لي كذا وكذا.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، يريد: ليسَ كهو شيء، فخرج هذا مخرج كلام العرب.

---

(١) سبق تخريجه صفحة: ٥٤.

(٢) الآية: ١١من سورة الشورى.

ويجوز أن تكون الكاف زائدة، كما تقول في الكلام: كلّمني بلسان كمثل السنان، ولها بنان كمثل العَنَم[1].

(وكقول[2] الراجز):

وصـالـيـات كَـكُـمـا يُـؤَثْـفَـيْـن

فأدخل الكاف على الكاف، وهي بمعنى مثل.

وقد اضطرب الناس في تأويل قول رسول الله ﷺ: «إنه خلق آدم عليه السلام على صورته».

فقال قوم من أصحاب الكلام: أراد خلق آدم على صورة آدم، لم يزد على ذلك، ولو كان المراد هذا، ما كان في الكلام فائدة.

ومن يشك في أن الله تعالىٰ خلق الإنسان على صورته، والسباع على صورها، والأنعام على صورها؟!

وقال قوم: إن الله تعالىٰ خلق آدم على صورة عنده.

وهذا لا يجوز لأن الله عزّ وجلّ لا يخلق شيئاً من خلقه على مثال.

وقال قوم في الحديث: «لا تقبحوا الوجه، فإن الله تعالىٰ خلق آدم على صورته»[3].

---

(١) العنم: شجرة حجازية لها ثمرة حمراء، يشبه بها البنان المخضوب، أو أطراف الخروب الشامي. (القاموس المحيط) صفحة ١٤٧٣.

(٢) هو للخطام المجاشعي وقبله:

لـم يـبـق مـن آي بـهـا يـحـلـيـن غـيـر حـطـام ورمـاد كـنـفـيـن

وغـيـر عـود جـاذل أو وديـن

والواو واو العطف أي غير صاليات، والصاليات الأثافي المسودات قد صلّيت بالنار، وكـ «كما» أي كمثل ما يؤثفين، أي يجعلن في موضع الطبخ أي: كأنها كما وضعها أهلها لم يتغيّر منها شيء. و«ما» مصدرية ويؤثفين: من أثفيت القدر: جعلت لها أثافي، وكان القياس يثفين، كـ «يكرمن»، لكنه استعمله على الأصل المرفوض اضطراراً .اهـ. باختصار على شرح محل الشاهد هنا، واختصار من شرح شواهد المغني للسيوطي.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده: ٢/ ٢٥١، ٤٣٤ عن أبي هريرة بلفظ: «إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه ولا تقل قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فإنه الله تعالىٰ خلق آدم على صورته». =

يريد أن الله ـ جلّ وعزّ ـ خلق آدم على صورة الوجه.

وهذا أيضاً بمنزلة التأويل الأوّل، لا فائدة فيه.

والناس يعلمون أن الله تبارك وتعالىٰ خلق آدم، على خلق ولده، ووجهه على وجوههم.

وزاد قوم في الحديث: إنه ـ عليه السلام ـ مرّ برجل يضرب وجه رجل آخر، فقال: «لا تضربه، فإن الله تعالىٰ، خلق آدم ـ عليه السلام ـ على صورته»، أي صورة المضروب.

وفي هذا القول من الخلل، ما في الأوّل.

ولما وقعت هذه التأويلات المستكرهة، وكثر التنازع فيها، حمل قوماً اللَّجَاجُ على أن زادوا في الحديث، فقالوا: روى ابن عمر عن النبيّ ﷺ، فقالوا[1]: «إن الله عزّ وجلّ خلق آدم على صورة الرحمٰن».

يريدون أن تكون الهاء[2] في «صورته» لله جلّ وعزّ، وأن ذلك يتبيّن بأن يجعلوا الرحمٰن مكان الهاء كما تقول: «إن الرحمٰن خلق آدم على صورته»، فركبوا قبيحاً من الخطأ.

وذلك أنه لا يجوز أن نقول: «إن الله تعالىٰ خلق السماء بمشيئة الرحمٰن»، ولا على إرادة الرحمٰن[3].

= وقد أورده أحمد في مسنده: ٢/ ٢٤٤ بصيغة أخرى: عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ: «إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، فإنه الله خلق آدم على صورته».

(١) لعل الأصح: فقال بدلاً من فقالوا.

(٢) أي: هاء الضمير التي تعود على لفظ الجلالة المتقدم.

(٣) قول ابن قتيبة: «وزاد قوم في الحديث: أنه ـ عليه السلام ـ مر برجل يضرب وجه رجل آخر، فقال: «لا تضربه فإن الله خلق آدم عليه السلام على صورته»، أي: صورة المضروب، قال: وفي هذا القول من الخلل ما في الأول».

أقول: أخطأ ابن قتيبة رحمه الله تعالىٰ في هذا المقال من موضعين وسع بهما باب المحذور، ولم يحسن جواباً بل أضعف الجواب الصحيح وهاك البيان.

أولاً: الموضع الأول في خطأ ابن قتيبة أنه أورد أصل الحديث ناقصاً في اللفظ حيث=

. . . . . .

= لفظه الذي أورده هو: «إن الله عزّ وجلّ خلق آدم على صورته»، والحديث له بقية توجه معناه يقيناً وكان يجب على ابن قتيبة ذكرها، حتى لو لم يذكرها المعارضون كان من واجبه ردّها إلى الحديث والتأكيد عليها، وقد فعل العكس فقال ما يوحي بعدم ثبوتها حيث أصل الحديث ما ذكره وزاد قوم كذا وكذا. وأقلّ ما يقال في ذلك أنه تقصير بليغ منه وهذا مع إحسان الظن به؛ لأن أصل الحديث كما هو في الصحيحين من جميع الروايات مذكور سبب هذا القول. وقد رواه مسلم من سبع طرق كلها تذكر ذلك: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليتقّ الوجه، فإن الله تعالىٰ خلق آدم على صورته»، وكذلك رواية البخاري بنفس اللفظ، والملابسة قاضية بعود الضمير على المضروب أو المقاتل قطعاً. وسبب القطع أن الله تعالىٰ يقول: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾، فلا يحوم حول التشبيه ذو علم مؤمن قط. إمّا أن يكون لقلة علم أو لنقص يقين، فالذي أشار إلى توهينه هو حق وهو صحيح وهو أصل الحديث في الصحيحين واقتصر عليه البخاري، ولم يروِ: «أن الله خلق آدم على صورته»، فهي لمسلم وحده في بعض ألفاظه.

ثانياً: الموضع الثاني من خطأ ابن قتيبة قوله: وفي هذا القول من الخلل ما في الأوّل، وهذا تغفيل واضح. فالقول الأول الذي صرح بخطئه أن يكون المعنى خلق آدم على صورة آدم يعني عود الضمير على نفس آدم، وهذا فعلاً لا تتضح فائدته. أمّا أن يقول رسول الله ﷺ: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته»، فلا يستقيم في لغة العرب أن يعود الضمير إلاّ على المضروب لأنه الرابط بين الجملتين، وإلاّ كان الكلام غير مفيد، فإنك إذا قلت: رأيت زيداً مع أبيه يمشيان وزيد يشبهه، لم يبق أحد عنده قط من الفهم إلاّ علم أنك تعني أن الضمير من يشبهه يعود على أبي زيد لأنه الرابط بين الجملتين، وإلاّ كان الكلام من الهذيان الذي لا يفيد معنى صحيحاً. ولو قال قائل: إن هذا الضمير في يشبهه يعود على زيد، قيل: ابتغوا له الطبّ فإنه مجنون. أمّا إذا شطر الحديث وقطعت منه الجملة الأولى واقتصر فقط على هذا اللفظ: «إن الله خلق آدم على صورته»، فأقرب الوجوه في لغة العرب هو عود الضمير على الله تعالىٰ، وحينئذ يكون أمامنا المانع اليقيني القاطع الذي لا يرتاب فيه مؤمن قطّ، وهو أن الله تعالىٰ يستحيل أن يكون له شبيه أو مثيل؛ لقوله تعالىٰ: ﴿**ليس كمثله شيء**...﴾، ويكون المعنى الضروري لو كان الحديث هكذا أنها هاء الملكية، يعني خلق آدم على الصورة التي شاء الله تعالىٰ وأرادها له... ولكن تتمّة الحديث تقضي أن الهاء عائدة على الأخ ومعناها أوضح من الشمس. وقد أخطأ ابن قتيبة يقيناً فيما قال من أن هذا المعنى فيه من الخلل ما في الأول، والذي رجحه من أن المقصود صورته في الدنيا كصورته في الجنّة ليس براجح، بل فيه تكلف. وما استشهد به من التوراة لإثبات الشبهة باطل؛ لأن ما في التوراة أوهى من أن يستشهد به في حكم تكليفي بله أصول العقيدة، وقد تعمد اليهود تحريف العقيدة أكثر ما حرّفوا وإلاّ فيستشهد بمصارعة آدم لربّه وأنه=

وإنما يجوز هذا، إذا كان الاسم الثاني غير الاسم الأوّل، أو لو كانت الرواية: «لا تقبحوا الوجه، فإنه خلق على صورة الرحمٰن»، فكان الرحمٰن غير الله، والله غير الرحمٰن.

فإن صحت رواية عمر عن النبيّ ﷺ بذلك، فهو كما قال رسول الله ﷺ، فلا تأويل، ولا تنازع فيه.

قال أبو محمد: ولم أرَ في التأويلات شيئاً أقرب من الاطّراد، ولا أبعد من الاستكراه، من تأويل بعض أهل النظر، فإنه قال فيه: «أراد أن الله تعالىٰ خلق آدم في الجنّة على صورته في الأرض».

كأنّ قوماً قالوا: إن آدم كان من طوله في الجنّة كذا، ومن حليته كذا، ومن نوره كذا، ومن طيب رائحته كذا، لمخالفة ما يكون في الجنّة، ما يكون في الدنيا.

فقال النبيّ ﷺ: «إن الله خلق آدم» يريد في الجنّة «على صورته» يعني في الدنيا.

ولست أحتم بهذا التأويل على هذا الحديث، ولا أقضي بأنه مراد رسول الله ﷺ فيه، لأنّي قرأت في التوراة: «أن الله جلّ وعزّ، لما خلق السماء والأرض قال: نخلق بشراً بصورتنا، فخلق آدم من أدمة[1] الأرض، ونفخ في وجهه نسمة الحياة»، وهذا لا يصلح له ذلك التأويل.

وكذلك حديث ابن عباس «أن موسى ﷺ، ضرب الحجر لبني إسرائيل فتفجّر[2]، وقال: اشربوا يا حمير»[3].

= غلب الرب؛ تعالىٰ الله عن كفرهم علوّاً كبيراً، وغيره من الشيطنة التي كتبوها عن الله تعالىٰ ورسله. ولا شكّ أن هذه زلّة من ابن قتيبة، وقد اتّهم الجاحظ أنه عند محاورة أهل الكتاب ذكر شبههم مستوفاة واستدل لها كالمنبه لهم إليها وقصر في الرد عليهم، فكان كلامه يوحي بتثبيت شبههم أكثر من أن يكون ردّاً عليهم، وهو غفر الله له فعل ذلك هنا، عفا الله عنّا وعنه، والله تعالىٰ أعلم وأحكم. [الإضافة للشيخ محمد بدير].

(١) أدمة الأرض: أي باطنها.

(٢) وفي نسخة: فانفجر.

(٣) لم نجده.

فأوحى الله، تبارك وتعالىٰ، إليه: «عمدت إلى خلق من خلقي، خلقتهم على صورتي، فشبّهتهم بالحمير»، فما برح حتى عوقب[1]. هذا معنى الحديث.

قال أبو محمد: والذي عندي ـ والله تعالىٰ أعلم ـ أن الصورة ليست بأعجب من اليدين، والأصابع، والعين، وإنما وقع الإلف لتلك، لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه، لأنها لم تأتِ في القرآن. ونحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حدّ.

(١) لعلّ الصواب: «عوتب».